وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي

مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم

كتاب القوافي

تأليف

أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش

المتوفى سنة ٢١٥ هـ

عني بتحقيقه

الدكتور عزة حسن

دمشق

١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أبو الحسن الأخفش : ثقافته وكتبه .

كتاب القوافي : موضوعه وقيمته .

مخطوطة الكتاب .

عملنا في تحقيق الكتاب .

أبو الحسن الأخفش

مؤلف هـذا الكتاب هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة النحوي البصري المعروف بالأخفش[1] . والأَخْفَش في اللغـة الصغير العينين مع سوء بصرهما . والمشهورون بهذا اللقب من العلماء ثلاثة . أولهم أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد من أوائل علماء البصرة، وهو الأخفش الأكبر . وثانيها هو مؤلف هذا الكتاب، وقد عرف بالأخفش الأوسط . والثالث هو أبو الحسن علي بن سليمان المتوفى سنة ٣١٥ ، وهو الأخفش الأصغر . وكان يقال لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأصغر . فلما ظهر أبو الحسن علي بن سليمان عرف بالأصغر . وصار ذاك يعرف بالأوسط[2] .

* * *

نشأ أبو الحسن الأخفش في مدينة البصرة ، وعاش في النصف الأخير من القرن الثاني وأوائل القرن الثالث . وكانت البصرة في ذلك العهد أكبر مركز ثقافي في العالم العربي . وكانت الثقافة العربية قد بدأت تزدهر فيها منذ أوائل

---

(١) انظر ترجمة الأخفش في أخبار النحويين البصريين ٣٩ - ٤٠ ، ومراتب النحويين ٦٨-٦٩ ، وطبقات النحويين للزبيدي ٧٤-٧٦ ، والفهرست ٥٢ ، وإنباه الرواة ٣٦/٢ - ٤٣ ، ونزهة الألباء ١٨٤-١٨٨ ، ومعجم الأدباء ٢٢٤/١١-٢٣٠ ، ووفيات الأعيان ١٢٢/٢ - ١٢٣ ، وبغية الوعاة ٢٥٨ ، والمختصر في تاريخ البشر لأبي الفداء ٢٩/٢ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٣٦/٢ .

(٢) وفيات الأعيان ١٢٣/٢ .

القرن الثاني ، وتعطي ثمارها الطيبة ، بدراسة اللغة العربية وتدوينها ، ورواية شعر العرب القديم وتدوينه أيضاً ، ودراسة غيرهما من فنون الثقافة العربية ، وتأليف الكتب فيها جميعاً .

وقد نشأ في البصرة في هذا القرن علماء أفذاذ كبار ، يعدون أكبر علماء العربية إلى اليوم . نذكر منهم أبا عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٠ ، وهو شيخ علماء البصرة وكبيرهم . وكان عالماً باللغة والشعر . وعنه روى العلماء جملة كبيرة من اللغة وشعر العرب القديم .

ونذكر من علماء البصرة في القرن الثاني أبا عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٠ . وهو أول من وضع معجماً للألفاظ في اللغة العربية . ونذكر كذلك من هؤلاء العلماء أبا بشر عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه والمتوفى سنة ١٨٠ . وكان رأس علماء البصرة في عهده . وقد وضع في النحو العربي كتاباً عظيماً كان أكبر كتاب وضع في موضوعه وأجوده . وما زال أكبر كتاب في هذا الموضوع وأحسنه إلى اليوم .

* * *

صحب أبو الحسن الأخفش أول أمره الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ودرس عليه[1] . وكان الخليل عالماً باللغة والنحو ، وكان إلى جانب ذلك بارعاً في العروض والقوافي والنغم . وهو أول من استخرج العروض ، وحصّن به أشعار العرب ، كما يقول ابن النديم[2] . وقد استقرى هذا العلم وبحور الشعر من شعر العرب القديم . ومن هنا جاء أبا الحسن الأخفش اهتمامه بالعروض والقوافي ومعرفته بها . وهو الذي استدرك على أستاذه الخليل بحر الخَبَب[3] الذي يعرف أيضاً بالمتدارك ،

(١) طبقات النحويين للزبيدي ٧٤ .
(٢) الفهرست ٤٢ .
(٣) وفيات الأعيان ١٢٣/٢ .

لأن أبا الحسن الأخفش تداركه بعد أن غاب عن علم الخليل . وهو البحر السادس عشر بين بحور الشعر المعروفة في علم العروض .

* * *

ثم صحب أبو الحسن الأخفش عالم النحو الأكبر ورأس علماء البصرة في زمانه سيبويه ، فدرس عليه ، وأخذ عنه النحو مع أنه كان أكبر سناً من سيبويه[١] . فحذق النحو ، وبرع فيه ، حتى صار من مشاهير نحويي البصرة[٢] . قال ابن قتيبة في كتاب المعارف : « وحدثنا الرياشي قال ، سمعت الأخفش يقول : كان سيبويه إذا وضع شيئاً من كتابه عرضه عليّ ، وهو يرى أني أعلم منه . وكان أعلم مني ، وأنا اليوم أعلم منه »[٣] . والحقيقة أنه كان أحذق أصحاب سيبويه بالنحو وبكتاب سيبويه ، وأعلم من أخذ عن سيبويه[٤] .

وعلى أبي الحسن الأخفش قرئ كتاب سيبويه بعد وفاته ، وعنه أخذ ، فكان هو الطريق إلى كتاب سيبويه . وذلك أن سيبويه لم يقرأ أحد كتابه عليه ، ولا قرأه سيبويه على أحد[٥] . ولما مات سيبويه قرئ الكتاب على أبي الحسن الأخفش . وكان أول من قرأه عليه أبا عمر الجرمي وأبا عثمان المازني . فكان ذلك سبباً في إظهار الكتاب وإشاعته بين الناس[٦] . ولم يُسْنَدْ كتاب سيبويه

(١) أخبار النحويين البصريين ٣٩ ، ومراتب النحويين ٦٨ .

(٢) أخبار النحويين البصريين ٣٩ ، ومراتب النحويين ٦٨ .

(٣) كتاب المعارف ٥٤٦ ، ومراتب النحويين ٦٩ .

(٤) أخبار النحويين البصريين ٣٩ ، ونزهة الألباء ١٨٤ .

(٥) أخبار النحويين البصريين ٣٩ ، والفهرست ٥٢ .

(٦) نزهة الألباء ١٨٥ — ١٨٦ .

إليه إلا بطريق الأخفش، فإن كل الطرق مستندة فيها إليه [1] . وقد تكلم عليه، وشرحه وبينه[2] .

وكان ممن قرأ كتاب سيبويه على أبي الحسن الأخفش الكسائي رأس علماء الكوفة في زمانه . وقد جاء الكسائي الأخفش من الكوفة إلى البصرة ، وسأله أن يقرأ عليه كتاب سيبويه . ففعل وأقرأه الكتاب . فوجّه اليه الكسائي أجراً على ذلك دنانير وفيرة[3] . ويقال إنه قرأه عليه سراً حين اتصل به في بغداد .

* * *

وروى أبو الحسن الأخفش أشعار العرب عن حماد بن الزبرقان . وكان حماد هذا من رواة الأشعار في البصرة[4]. وحذق الأخفش هذا الفن أيضاً ، وبرع فيه كما برع من قبل في العروض والقوافي والنحو ، حتى صار يقال له الأخفش الراوية[5] ، وصار يملي الأشعار ، ويشرح غريبها . وقد ألف كتاباً في معاني الشعر [6] . وكانت له طريقة خاصة في شرح الشعر ، وذلك أنه كان يملي غريب كل بيت من الشعر تحته . وهو أول من ابتدع هذه الطريقة في شرح الشعر [7] . وقد صارت هذه الطريقة بعد الأخفش خطة عامة سار عليها العلماء في شرح الأشعار .

* * *

وهكذا تتبين لنا ضروب الثقافة التي نالها أبو الحسن الأخفش وأبعادها

---

(١) نزهة الألباء ١٨٦ .

(٢) مراتب النحويين ٦٨ .

(٣) أخبار النحويين البصريين ٤٠ ، وإنباه الرواة ٢/٤٠ .

(٤) الفهرست ٥٢ ، وإنباه الرواة ٢/٤١ ، والخزانة ٤/١٣٢ .

(٥) طبقات النحويين للزبيدي ٧٦ ، وإنباه الرواة ٢/٣٩ .

(٦) الفهرست ٥٢ ، وإنباه الرواة ٢/٤٢ .

(٧) طبقات النحويين للزبيدي ٧٦ ، وإنباه الرواة ٢/٣٩ .

العامة . فقد رأينا أنه أخذ القوافي والعروض خاصة عن الخليل بن أحمد . وأخذ النحو خاصة عن سيبويه ، وكان أخذه عن الخليل أيضاً . وروى الأشعار عن حماد بن الزبرقان من رواة البصرة . وفي نتيجة ذلك كله نجم أبو الحسن الأخفش عالماً كبيراً من علماء العربية الأوائل الذين أرسوا قواعد الثقافة العربية، ووضعوا أصولها الأولى . وكان له في كل فن من الفنون المذكورة مذاهب مشهورة ، وأقوال مذكورة[١] عند علماء العربية . حتى قال فيه أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب : « كان أوسع الناس علماً[٢] » . وأبو العباس ثعلب من أكبر علماء العربية في القرن الثالث ، وكان يجل أبا الحسن الأخفش ويقدمه ، وهو كوفي والأخفش بصري كما عرفنا . وقال أبو العباس ثعلب : « حدثني سعيد بن سلم قال : دخل الفراء على سعيد بن سلم ، فقال : قد جاءكم سيد أهل اللغة ، وسيد أهل العربية ! فقال الفراء : أما مادام الأخفش ، يعني سعيد بن مسعدة، يعيش فلا[٣] » . وكان الكسائي يراه أعلم البصريين[٤] .

* * *

وقصد أبو الحسن الأخفش بغداد بعد ماشُهِر وعُرف شأنه بين الناس ، وأقام بها مدة [٥] . ويبدو أن قدومه بغداد كان بعد المناظرة الشهيرة التي جرت في بغداد بين شيخه وأستاذه سيبويه رأس علماء البصرة وبين الكسائي رأس علماء الكوفة والمقرّب إلى الخلفاء ورجال الدولة في بغداد. واتصل الأخفش بالكسائي في بغداد ، فأكرمه وجعله معلماً لأولاده . ولذلك حكاية غريبة

(١) نزهة الألباء ١٨٨ .
(٢) أخبار النحويين البصريين ٤٠ ، وإنباه الرواة ٢/ ٤٠ .
(٣) إنباه الرواة ٢/ ٣٩ .
(٤) مراتب النحويين ٦٨ .
(٥) بغية الوعاة ٢٥٨ .

طريفة حكاها الأخفش نفسه فقال : « فلما دخل إلى شاطيء البصرة (أي سيبويه بعد المناظرة) ، وجّه إليّ فجئته . فعرّفني خبره مع البغدادي ، وودعني ومضى إلى الأهواز . وتزودت وجلست في سُمارِيّة [1] حتى وردت بغداد . فوافيت مسجد الكسائي ، فصليت خلفه الغداة . فلما انفتل من صلاته ، وقعد في محرابه ، وبين يديه الفراء والأحمر وهشام وابن سعدان ، سألته عن مائة مسألة ، فأجاب عنها بجوابات خطأته في جميعها . وأراد أصحابه الوثوب عليّ ، فمنعهم من ذلك ، ولم يقطعني ما رأيتهم عليه مما كنت فيه . فلما فرغت من مائة مسألة قال الكسائي : بالله أنت أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش ! قال ، قلت : نعم . فقام إليّ فعانقني وأجلسني إلى جانبه . ثم قال لي : أولادي أحب أن يتأدبوا بك ، ويُخَرّجوا على يدك ، وتكون معي غيرَ مفارق لي . وسألني ذلك ، فأجبته [2] » .

وآثار الوضع بادية على هذه القصة الطريفة . ولكنها تدل مع ذلك على صلة أبي الحسن الأخفش بالكسائي في بغداد ، وحسن هذه الصلة بينهما ودوامها .

* * *

وفي بغداد اتصل الأخفش بالعلماء ، وجلس للتدريس والرواية ، وصنف الكتب [3] . ذكر أبو بكر الزبيدي في كتابه طبقات النحويين واللغويين ما يلي : « قال أبو العباس أحمد بن يحيى : أول من أملى غريب كل بيت من الشعر تحته الأخفش . وكان ببغداد ، وكان الطوسي مستمليه . قال : ولم أدركه لأنه كان قبل عصرنا . وكان يقال له : الأخفش الراوية [4] » .

---

(١) ضرب من المراكب النهرية .

(٢) طبقات النحويين للزبيدي ٤٢ - ٤٣ ، وإنباه الرواة ٣٦/٢ - ٣٧ .

(٣) طبقات النحويين للزبيدي ٧٥ ، وبغية الوعاة ٢٥٨ .

(٤) طبقات النحويين للزبيدي ٧٦ ، وإنباه الرواة ٣٩/٢ .

وتوفي أبو الحسن الأخفش سنة ٢١٥ ، وفي رواية أخرى في سنة ٢٢١[١]. ولا ندري إذا كانت وفاته في بغداد أم في البصرة .

* * *

ألف أبو الحسن الأخفش كتباً مختلفة في الفنون التي برع فيها من فنون الثقافة العربية . وقد ذكر له ابن النديم الكتب التالية في كتاب الفهرست[٢] :

١ - كتاب الأوسط في النحو .

٢ - كتاب تفسير معاني القرآن .

٣ - كتاب المقاييس في النحو .

٤ - كتاب الاشتقاق .

٥ - كتاب الأربعة .

٦ - كتاب العروض .

٧ - كتاب المسائل الكبير.

٨ - كتاب المسائل الصغير .

٩ - كتاب القوافي .

١٠ - كتاب الملوك .

١١ - كتاب معاني الشعر .

١٢ - كتاب وقف التمام .

١٣ - كتاب الأصوات .

١٤ - كتاب صفات الغنم وألوانها وعلاجها وأسنانها .

وقد أورد القفطي أسماء هذه الكتب في كتابه إنبـــاه الرواة على أنباه النحاة[٣] بتمامها وترتيبها كما وردت في الفهرست . وهـذا يدل على أنه أوردها

(١) إنباه الرواة ٢/٤١ ، والفهرست ٥٢ .

(٢) الفهرست ٥٢ .

(٣) إنباه الرواة ٢/٤٢ .

نقلاً عنه . وذكر القفطي اسم كتاب لم يذكره ابن النديم في الفهرست ، هو :

١٥ - كتاب التصريف .

ولم يصلنا من هذه الكتب غير كتاب القوافي الذي حققناه وأخرجناه في هذه الطبعة .

وقد ذكر معظم هذه الكتب لأبي الحسن الأخفش ياقوت الحموي في معجم الأدباء [١]، كما ذكر جملة منها ابن خلكان في وفيات الأعيان [٢] ، والسيوطي في بغية الوعاة [٣] ، وحاجي خليفة في كشف الظنون [٤] .

---

(١) معجم الأدباء ٢٣٠/١١ .

(٢) وفيات الأعيان ١٢٣/٢ .

(٣) بغية الوعاة ٢٥٨ .

(٤) كشف الظنون ٢٠١ ، ١٣٩١ ، ١٤٣٨ ، ١٤٥١ ، ١٤٦٣ ، ١٦٧٠ ، ١٧٢٩ ، ١٧٣٠ .

كتاب القوافي

هذا الكتاب من أقدم الكتب المؤلفة في باب القوافي إن لم يكن أقدمها إطلاقاً . وهو على كل حال أقدم كتاب وصل إلينا في هـذا الباب . ويعد لذلك من الأصول القديمة الأولى في الثقافة العربية .

ضمن المؤلف كتابه بيان القواعد التي اتبعها شعراء العرب والقيود التي التزموها في قوافي أشعارهم ، وتفسير هذه القواعد والقيود . وهي قواعد محكمة صارمة ، وقيود شديـدة ثقيلة ، تبهظ من لم يؤتَ موهبة الفن وأصالة الابتكار وملكة الإبداع ، فينوء تحت شدتها وثقلها . ثم ذكر العيوب التي كان يقع فيها شعراء العرب حين خروجهم على هـــذه القواعد الموضوعة والقيود المفروضة . ويتبين لنا ذلك في يسر حين نلقي نظرة على أسماء أبواب الكتاب . هـذا بيان موجز لمضمون الكتاب .

وروى المؤلف مـا أورده في كتابه من معارف وأصول في فن القوافي عن العرب الفصحـاء مباشرة . وكان يسمع منهم أقوالهم ، أو يسألهم ويستفسر منهم عن أمور تهمه أو تشكل عليه في هذا الموضوع ، ويثبت هـذه الأقوال ، ويضع القواعد ، ثم يسوق الدلائل والشواهد على آرائه ومذاهبه وقواعده من شعر العرب القديم ورجزهم . قال مثلاً في موضوع الإكفاء وهو عيب من عيوب الشعر في القافية : « وسألت العرب الفصحاء عن الإكفاء فاذا هم يجعلونه الفسادَ في آخر الشعر والاختلافَ من غير أن يحدوا في ذلك شيئاً . إلا أني رأيت بعضهم يجعله اختلاف الحروف ، وأنشدته :

كأن فا قارورة لم تعفصِ

منها حجاجا مقلة لم تلخصِ

كأن صيران المها المنقزِ

فقال : هذا إكفاء . وأنشده آخر قوافي على حروف مختلفة ، فعابه ، ولا أعلمه إلا قال : قد أكفأت . إلا أنني رأيتهم إذا قربت مخارج الحروف ، أو كانت من مخرج واحد ، ثم اشتد تشابهها ، لم يفطن لها عامتهم . والمكفأ في كلامهم هو المقلوب . وإلى هذا يذهبون »(١) . وما أكثر مثل هذه الأقوال التي انتثرت في تضاعيف الكتاب .

وكذلك أخذ أبو الحسن الأخفش جملة من المعارف والآراء التي أدرجها في الكتاب من شيخه الأول الخليل بن أحمد الفراهيدي . والخليل هو الأستاذ الأول الذي شُغِلَ بفني العروض والقوافي في الثقافة العربية ، واستنبط وأحصى كثيراً من أحكامها وقواعدهما من شعر العرب القديم . وقد تردد اسم الخليل عشرات المرات في صفحات الكتاب القلائل . قال الأخفش مثلاً بعد أن أحصى حروف القافية وحركاتها : « فهذا جميع ماذكره الخليل من اللوازم في القوافي من الحروف والحركات »(٢) .

وأورد المؤلف في كتابه أقوالاً وآراء لعلماء آخرين أيضاً ، مثل أبي عمرو ابن العلاء والمفضل الضبي ورؤبة بن العجاج ويونس بن حبيب وأبي عثمان المازني وغيرهم . وكان يذكرهم أحياناً بأسمائهم ، ويسند أقوالهم إليهم ، كما كان يسميهم أحياناً أخرى « أهل العلم » أو « من أثق به » .

وما كان أبو الحسن الأخفش ليكتفي بالرواية عن العرب الفصحاء . وإنما

---

(١) كتاب القوافي ٤٣ .

(٢) كتاب القوافي ٣٤ .

كان ينظر في رواياتهم ، ويقومها ليستنبط منها القواعد والأصول في فن القوافي . وما كان ليكتفي كذلك بإيراد أقوال أستاذه الخليل وآراء العلماء الآخرين في هذا الفن . وإنما كان يقابل بين هذه الأقوال والآراء ، ويزن بعضها ببعض ناقداً محققاً ، ثم يصححها إذا لزم الأمر بالرجوع إلى أقوال العرب الذين يسمع منهم ، أو بالرجوع إلى أشعارالعرب وأرجازهم القديمة . قال مثلاً في كلامه علىالتأسيس: « وقال أبو النجم :

وطالما وطالما وطالما

غلبت عاداً وغلبت الأعجما

فلم يجعل الألف تأسيساً ، لأنـــه أراد أصل ما كانت عليه (طال) و (ما) إذا لم يجعلها كلمة واحدة . وهو قد جعلها كلمة واحدة . وكان القياس أنيجعلها تأسيساً ، لأنها صارا كلمة واحدة . ولولا أن ذا جاء ما أجزناه .

وإنما جاز في ألف (كِلاهما) و (ماهيا) إلا أن تكون تأسيساً ، ولميجز إلا أن تكون ردفاً في المنفصل ، لأن التأسيس متراخ عن حرف الروي ، بينه وبينه حرف قوي ، فصار كأنه ليس من القافية . حتى دعاهم ذلك إلى أنأجازوا مع الألف التي في كلمة الروي غيرها من الحروف . قال العجاج :

يا دار سلمى ، يا اسلمي ثم اسلمي

ثم قال :

فخندف هامة هـــذا العالم

وكان رؤبة ، فيما بلغني ، يعيب هـــذا . وهو قليل قبيح [1] » . وأشباه هذا

(١) كتاب القوافي ٢٦ — ٢٧ .

الكلام كثيرة في الكتاب . ولذلك كثرت الشواهد التي أوردها بين دفتيه من أشعار العرب وأرجازهم القديمة .

* * *

وقد اطلع على هذا الكتاب ، فيما يبدو لي ، جميع العلماء الذين جاؤوا بعد أبي الحسن الأخفش ، ووضعوا كتباً في باب القوافي . فأفادوا منه ، ونقلوا عنه ، واقتبسوا طرفاً من عباراته وألفاظه ، واستقوا من شواهده وأقواله ، كما فعل أبو العلاء المعري في مقدمة اللزوميات مثلاً . ونقل عنه أيضاً أصحاب معجمات اللغة حين شرح الألفاظ والمصطلحات المستعملة في فن القافية . وقد رأيت ابن منظور صاحب معجم لسان العرب ينقل نقولاً كثيرة من هذا الكتاب ، وينثرها في معجمه الكبير ، ولاسيا حين كلامه على الألفاظ والأسماء الموضوعة لعيوب القافية ، ويعزو هذه النقول إلى الأخفش صاحب الكتاب .

وقد تتبعت ما نقله ابن منظور إلى معجمه ، وقابلته بما جاء في أصل الكتاب ، فتبين لي أن ابن منظور ينقل كلام أبي الحسن الأخفش في كتابه كما هو دون تغيير يذكر . وإليكم أمثلة من هذه النقول التي وردت في معجم لسان العرب :

١ - جاء في لسان العرب (كفأ) : « قال الأخفش : زعم الخليل أن الإكفاء هو الإقواء . وسمعته من غيره من أهل العلم . قال : وسألت العرب الفصحاء عن الإكفاء فإذا هم يجعلونه الفساد في آخر البيت والاختلاف من غير أن يحدوا في ذلك شيئاً . إلا أني رأيت بعضهم يجعله اختلاف الحروف . فأنشدته :

كأن فا قارورة لم تعفص

منها حجاجا مقلة لم تلخص

كأن صيران المها المنقز

فقال : هـــذا إكفاء . وأنشد آخر قوافي على حروف مختلفة ، فعابه ، ولا أعلمه إلا قال له : قـــد أكفأت » . وهذا من كلام أبي الحسن الأخفش في كتاب القوافي [1].

٢ – وجاء في لسان العرب (وطأ) : « وقال الأخفش : الإيطاء رد كلمة قد قفّيت بهامرة ، نحو قافية (على رَجُلٍ) وأخرى (على رَجُلٍ) في قصيدة . فهذا عيب عند العرب ، لايختلفون فيه ، وقد يقولونه مع ذلك » . وهذا من كلام أبي الحسن الأخفش أيضاً [2]

٣ – وجاء في لسان العرب (سند) : « وقال الأخفش بعد أن خصص كيفية السناد : أماما سمعت من العرب في السناد فإنهم يجعلونه كل فساد في آخر الشعر ، ولا يحدون في ذلك شيئاً . وهو عندهم عيب قال : ولا أعلم إلا أني قد سمعت بعضهم يجعل الإقواء سناداً . وقد قال الشاعر :

فيه سناد وإقواء وتحريد

فجعل السناد غير الإقواء ، وجعله عيباً » . وهذا أيضاً من كلام الأخفش في كتاب القوافي [3] .

* * *

وأما هذه الألفاظ أو المصطلحات الموضوعة لأسماء القافية ولوازمها من الحروف والحركات ولعيوبها وغيرذلك من الأسماء المستعملة في هذا الفن فنراها من وضع العلماء الذين تكلموا في فن القافية ، أو وضعوا فيه كتباً على مر الأيام ،

---

(١) انظر كتاب القوافي ٤٣ .

(٢) انظر كتاب القوافي ٥٥ – ٥٦

(٣) انظر كتاب القوافي ٥٥ .

ومنهم أبو الحسن الأخفش صاحب هذا الكتاب . وربما كان بعضها من استعمال فصحاء العرب أنفسهم ، أخذها عنهم العلماء واستعملوها في كلامهم وكتبهم وفي هذا الكتاب مايشير إلى ذلك قال المؤلف مثلًا في كلامه على الإكفاء : «وزعم الخليل أن الإكفاء هو الإقواء . وقد سمعته من غيره من أهل العلم وسألت العرب الفصحاء عن الإكفاء ، فإذا هم يجعلونه الفساد في آخر الشعر والاختلاف من غير أن يحدوا في ذلك شيئاً . إلا أنني رأيت بعضهم يجعله اختلاف الحروف »[1] .

وقد ذكر أبو العلاء المعري هذه المسألة في مقدمة اللزوميات ، فقال كلاماً يقوي ماذهبنا إليه في وضع هذه الأسماء واستعمالها في فن القافية . قال أبو العلاء : « ويقال : إن الخليل لم يذكر الإشباع ، وإن سعيدبن مسعدة ذكره . فيجوز أن يكون اسماً وضعه ، ويجوز أن يكون تلقاه عمن قبله من أهل العلم . وقد رئي في القوافي كتاب للفراء ، وكتاب لخلف بن حيان . وإن لم يخلوا من ذكر الإشباع فهذا يدل على أن سعيد بن مسعدة أخذ هذا الاسم عن غيره ، إذ كان هذان الرجلان في القدم نظيره ويجب أن يكون خلف مات قبله بمدة طويلة . فأما موته وموت الفراء فمتقاربان .

وهذه الأسماء لايعقل مثلها سكان العمد . وإن كانت تلقيت عن العرب فيجب أن يكون من أخذ عنه ذلك يعرف حروف المعجم ، ويقرأ الصحف . وقد كان فيهم رجال يقرؤون ويكتبون ، ويعرفون مواقع الحروف .

وقد ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام في المصنف[2] باباً للقوافي ، وأسند

---

(١) كتاب القوافي ٤٣ .

(٢) يريد كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام ، وهو مخطوط لم يطبع بعد .

بعض ألقابها عن الشيوخ . فهذا يدل على أنه كان يعتقد أنها مأخوذة عن العرب كما تؤخذ عنهم اللغة . فإن كان الأمر على ماذهب إليه فيحق أن يكون المأخوذ عنه متميزاً من الطغام ، لايجهل منزلة الميم من النون ، ولا الباء من الفاء » .(١)

* * *

وقـــد شرح أبو الفتح ابن جني المتوفى سنة ٣٧٢ كتاب القوافي لأبي الحسن الأخفش في كتاب له سماه المعرب . وقد ذكر هذا الكتاب ابن جني نَفْسه في كلام له نقله عبد القادر البغدادي في خزانة الأدب من كتاب إعراب الحماسة لابن جني نَفسِه أيضاً (٢) .

وقد نقل ابن منظور صاحب معجم لسان العرب من كتاب المعرب لابن جنيّ نقولاً كثيرة في معجمه حين شرح الأسماء المستعملة في فن القوافي . ودرج ابن منظور على نقل كلام ابن جني بعد إيراد كلام أبي الحسن الأخفش في أغلب الأحيان . وهذه أمثلة من كلام ابن جني الذي نقله ابن منظور من كتابه المعرب دون أن يذكر اسم الكتاب . وليس من عــادة ابن منظور أن يذكر أسماء الكتب التي ينقل منها .

١ — جاء في لسان العرب (وطأ) : « وقال الأخفش : الإيطاء رد كلمة قد قفّيت بها مرة ، نحو قافيـة (على رَجُل) وأخرى (على رَجُل) في قصيدة . فهذا عيب عند العرب ، لايختلفون فيه ، وقد يقولونه مع ذلك (٣) . قال النابغة :

---

(١) شرح لزوم مالا يلزم للدكتور طه حسين وإبراهيم الإبياري ، مقدمة المعري ٢٣ - ٢٤ .

(٢) خزانة الأدب ٢/٣٣١.

(٣) انظر كتاب القوافي .

أو أضع البيتَ في سوداء مظلمة   تقيَّد العير لا يسري بها الساري

ثم قال :

لا يخفض الرز عن أرض ألم بها   ولا يضل على مصباحه الساري

قال ابن جني : ووجه استقباح العرب الإيطاء أنه دال عندهم على قلة مادة الشاعر ، ونزارة ماعنده ، حتى يضطر إلى إعادة القافية الواحدة في القصيدة بلفظها ومعناها ؛ فيجري هذا عندهم لما ذكرناه مجرى العي والحصر . وأصله أن يطأ الإنسان في طريقه على أثر وطء قبله ، فيعيد الوطء على ذلك الموضع . وكذلك إعادة القافية هو من هذا » .

٢ - جاء في لسان العرب (قوا) : « وقال الأخفش : الإقواء رفع بيت وجر آخر ، نحو قول الشاعر :

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم   جسم البغال وأحلام العصافير

ثم قال :

كأنهم قصب جوف أسافله   مثقب ، نفخت فيه الأعاصير

قال : وقد سمعت هذا من العرب كثيراً ما لا أحصي . وقلَّت قصيدة ينشدونها إلا وفيها إقواء ، ثم لا يستنكرونه لأنه لا يكسر الشعر . وأيضاً فإن كل بيت منها كأنه شعر على حياله [١] . قال ابن جني : أما سمعه الإقواء عن العرب فبحيث لا يرتاب به . لكن ذلك في اجتماع الرفع مع الجر . فأما مخالطة النصب لواحد منهما فقليل ، وذلك لمفارقة الألف الياء والواو ، ومشابهة كل واحدة منهما جميعاً أختها » .

وأمثال هذه النقول كثيرة في معجم لسان العرب ، نجتزىء منها بإيراد المثالين اللذين ذكرناهما آنفاً .

---

(١) انظر كتاب القوافي ٤٢.

مخطوطة الكتاب

اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب وإخراجه على نسخة مخطوطة له فريدة في العالم ، لاأخت لها فيما نعلم . وهي موجودة ضمن مجموع مخطوط محفوظ في خزانة حسين جلبي في مدينة بروسة بتركية برقم ٨٧٩ .

يضم هذا المجموع المخطوط بين دفتيه ثلاثة كتب هي :

١ - كتاب القوافي لأبي الحسن الأخفش ، وهو يشغل ٣٢ ورقة من أول المجموع .

٢ - كتاب التبيان في علمي المعاني والبيان للقاضي الزملكاني المعروف بابن خطيب زملكا والمتوفى سنة ٦٥١ .

٣ - الوجيزة الكافية في العروض والقافية من نظم أحمد بن عبد الله بن عبد الله الأندلسي الوادي آشي الحنفي المعروف بابن المهاجر والمتوفى سنة ٧٣٩ كما جاء في كشف الظنون [١] .

كتب المجموع كله ابن المهاجر نفسه ناظم الكتاب الثالث في المجموع المخطوط بخط نسخ معتاد مشكول بعض الشكل ، وذلك في الليلة المسفر صباحها عن تاسع جمادى الآخرة سنة ٧٣٤ كما جاء في آخر كتاب التبيان في علمي المعاني والبيان [١٣٣][٢] . وهذا يوفر لنسختنا المخطوطة أهمية ، ويجعل لها مكانة

---

(١) كشف الظنون ٢/٢٠٠٤ .

(٢) انظر النماذج المصورة من الأصل المخطوط في آخر مقدمتنا .

خاصة ، لأن الناسخ ابن المهاجر كان عارفاً بعلمي العروض والقافية وصاحب تأليف فيهما .

وكنت سمعت وأنا أشتغل بتحقيق الكتاب أن له نسخة مخطوطة أخرى محفوظة في مكتبة مدينة طنطا بمصر فسعيت للحصول على نسخة مصورة عنها فلم أفلح . ثم لقيت صديقي العلامة محمد بن تاويت الطنجي ذات يوم في استانبول ، فجلسنا نتحدث ملياً . فأخبرته في أثناء الحديث باشتغالي في هذا الكتاب على مخطوطة حسين جلبي في بروسة وحدها ، وأشرت أيضاً في أثناء ذلك إلى صعوبة الحصول على صورة من مخطوطة مكتبة طنطا . فاستوقفني وتبسم ضاحكاً ، وقال : عندي نسخة منقولة عن هذه المخطوطة . وفرحت لهذا النبأ في ذلك الحين .

وبعد أيام كانت هذه النسخة بين يدي أنظر فيها . فرأيت في صفحة العنوان مكتوباً بخط العلامة الطنجي :

« كتاب العروض والقوافي للأخفش

نقل عن نسخة المكتبة الأحمدية بطنطا المحفوظة تحت رقم خ ٣٨ / ع ٤٨٦٥ عروض وقوافي .

وخط النسخة جميل وصحيح . وعلى بعض هوامش النسخة تعليقات ، وهي قليلة . س ١٥ . وعدة أوراقها ١٤ » .

أما نسخة الكتاب فمكتوبة بخط رديء ليس هو خط العلامة الطنجي .

ولدى فحص هذه النسخة تبين لنا أنها تتضمن حقاً كلاماً في فن القافية . ولكنها شيء آخر غير كتاب القوافي لأبي الحسن الأخفش ، ولا صلة لما فيها بهذا الكتاب البتة .

وهكذا بقيت مخطوطة خزانة حسين جلبي في بروسة هي النسخة الفريدة التي اعتمدنا عليها في تحقيق الكتاب وإخراجه .

* * *

عملنا في تحقيق الكتاب :

كان العمل في تحقيق هذا الكتاب سهلاً ميسوراً ، لم يكلفنا جهداً كبيراً ولا وقتاً طويلاً . فقد كانت نسخته المخطوطة جيدة قويمة ، كما كان كاتبها عارفاً متقناً . فكان جل اهتمامنا لذلك منصرفاً قبل كل شيء إلى ضبط نص الكتاب وإخراجه صحيحاً محققاً ، إذ هو أصل قديم من أصول الثقافة العربية كما بينا ، له أسلوب خاص في التعبير وتركيب الكلام .

وقد وجدنا في النسخة المخطوطة تصحيفات قليلة ، وبعض السقط القليل أيضاً . فقومنا هذه التصحيفات ، وأكملنا النقص الناشيء عن السقط . وشرحنا بعد ذلك أشياء يسيرة في بعض مواضع من الكتاب رأيناهـا تحتاج إلى شرح وإيضاح ، ولكننا لم نَغْلُ في هذا الأمر . على أننا سعينا جهدنا في تخريج شواهد الكتاب من الأشعار والأرجاز ، وهي كثيرة ، مع شرحها والتعليق عليها حين الحاجة إلى ذلك . وحاولنا أن نعزو إلى أصحابها ما تركه أبو الحسن الأخفش بغير عزو .

هذا وإنا لنرجو أن يكون في نشر هذا النص الأصيل عون وفائـدة للباحثين في الثقافة العربية وأصولها .

* * *

وفي الختام نبذل الشكر خالصاً إلى وزارة الثقافة والإرشاد القومي لقيامها بنشر هذا الكتاب . ونخص بالشكر الأستاذ الدكتور عبد الهادي هاشم معاون الوزير لمؤازرته لنا ورعايته عملنا ، والأستاذ محمد المصري في مديرية إحياء التراث القـديم في الوزارة لإشرافه على طبع الكتاب وقيامه بالتصحيح أثناء طبعه .

كتاب القوافي

للإمام أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش رحمه الله

879

Kısım : Hüseyin Çelebi

Tasnif N.

879

صورة صفحة العنوان من الأصل المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن
قال أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش رحمه الله عليه
هذا تفسير علم القوافي وما هي وكم عدتها اعلم أن القافية
آخر كلمة في البيت وإنما قيل لها قافية لأنها تقفو الكلام وفي
قولهم قافية دليل على أنها ليست بحرف لأن القافية مؤنثة والحرف
مذكر وإن كانوا قد يؤنثون المذكر ولكن هذا قد سمع من العرب
وليست تؤخذ الأسماء بالقياس ألا ترى أن رجلا وحائطا وأشباه
ذلك لا تؤخذ بالقياس إنما ننظر ما سمته العرب فنتبعه والعرب
لا تعرف الحروف وأخبرني من أثق به أنهم قالوا لعربي فصيح أنشدنا
قصيدة على الدال فقال [illegible] وسألت العرب وغيرها
عن الدال وغيرها من الحروف فإذا هم لا يعرفون الحروف
وأنشدنا [illegible] لا يشكل لنا أنها القافية ما دام [illegible]
فقلت أين القافية فقال [illegible]
على القاف فقال هذه التي من أسماء كاف [illegible]
ولم يعرف القاف وقد يجعل بعضهم القافية [illegible]

والسدنيات وطأ على حذ الليل لأم من لم يتخذهن الويل
وقلت أين القافية فقال حذ الليل لأنه إنما يريد الكلام الذي
هو آخر البيت لا يبالي قل أو كثر بعد أن يكون آخر الكلام وقد جعل
بعض العرب البيت قافية قال حسان

فنحكم بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء

وبعض العرب يجعل القوافي القصائد وقد سمعت عربيا يقول
عنده قواف كثيرة فقلت وما القوافي فقال القصائد وسألت
آخر فصيحا فقال القافية القصيدة ثم أنشد

وقافية مثل حد السنان تبقى ويهلك من قالها

يعني القصيدة وأخبرني من أثق به أنه سمع هذا البيت

نبئت قافية قيلت تناشدها قوم سأترك في أعراضهم ندبا

فهذا يعني القصيدة ومن زعم أن حرف الروي هو القافية
لأنه لازم له قلنا له إن الأسماء لا تؤخذ بالقياس إنما ننظر
ما تسمي العرب فنسمي به ونقول له صدر البيت لازم فهلا جعلته
قافية وثاني البيت لازم له وبناؤه فهلا جعل كل واحد منها قافية

صورة أول الكتاب من الأصل المخطوط

صورة آخر الكتاب من الأصل المخطوط

صورة آخر كتاب التبيان من المجموع المخطوط وفيه تاريخ نسخه